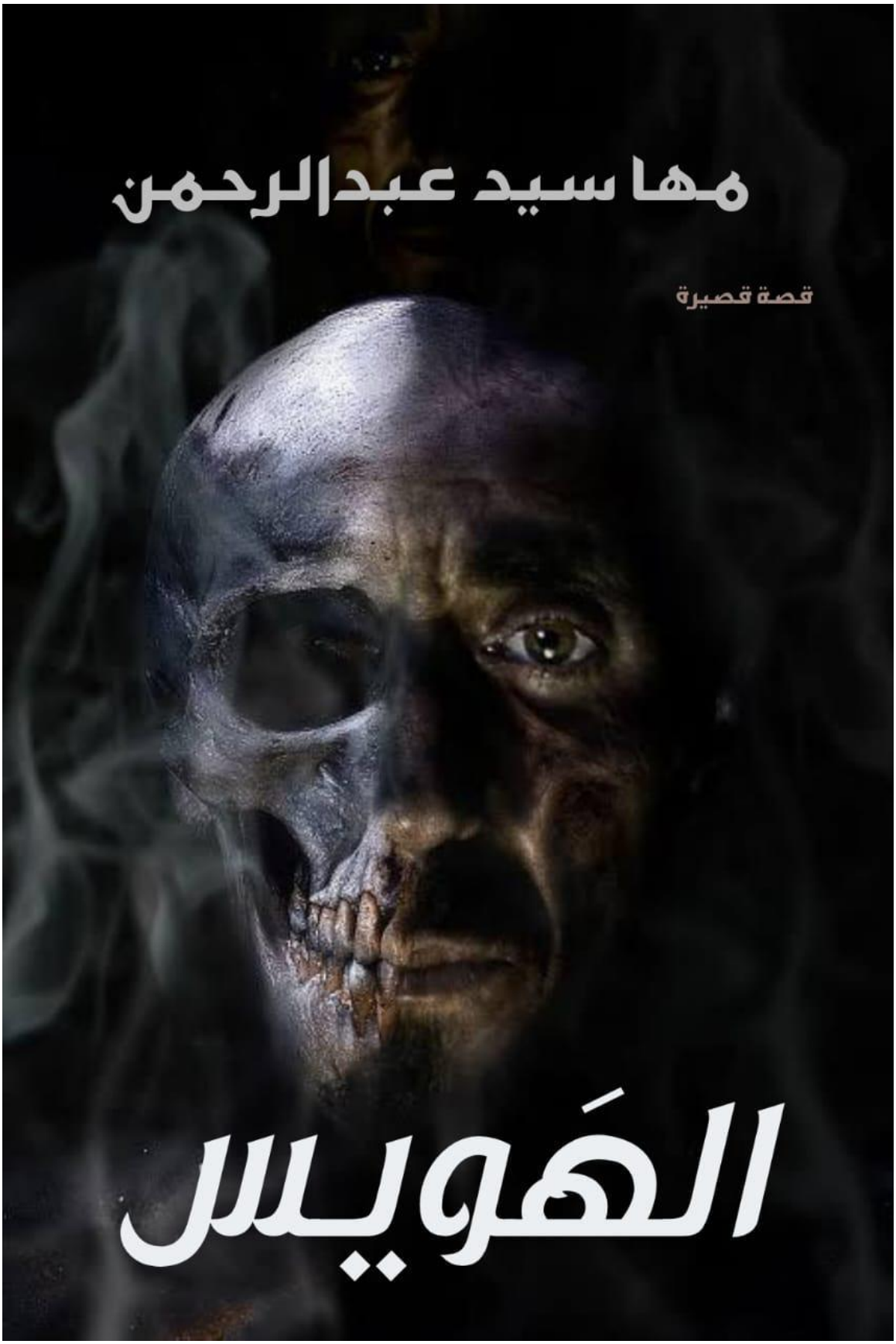
مها سيد عبدالرحمن
قصة قصيرة
الهَويس

الجزء الأول

تطلّعَت في وهن إلى عقارب الساعة التي تشير إلى الحادية عشر صباحاً، لا يزال الوقت باكراً لموعد عودة مالك من المدرسة، ثم تذكَرَت شيئاً هاماً! ستأخذه والدة سيف صديقه من هناك مع اثنين آخرين من زملائهما ليقضوا اليوم مع سيف احتفالاً بعطلة نهاية الأسبوع، التفتت جانباً لتنظر إلى التاريخ بداخل لوحة التقويم المعلقة على الجدار، وهي تغمغم في شجن:

-"27 سبتمبر"

تغرغرت عيناها بالدموع ثم سالت العبرات الحارة على وجنتيها، رفعت نظرها إلى الأعلى لتتأمل صورة زفافها من مروان، ابتسمت وهي تهمس في ألم:

-"كل سنة وانت طيب انهارده ذكرى جوازنا السادسة، وحشتني أوي، عدى 8 شهور من يوم ما سبتنا، ربنا يرحمك ويغفرلك عمري ما هنساك!"

اجتاحت عقلها تلك الذكرى الأليمة لأسوء يوم مر عليها في حياتها، ذلك اليوم حينما تلقت مكالمة من ياسر صديق مروان يخبرها بأنهم وجدوا سيارته غارقة على بعد أمتارٍ من الهَويس، لكنهم لم يعثروا على جثته، أغلب الظن أن المياه قد جرفتها بعيداً فالتيار كان قوي للغاية تلك الليلة!

صراخ وعويل وألم لا يوصف، ساعات من الترقب والأمل بأن يتبدد الكابوس بنهاية سعيدة بنجاته، لكن ذلك لم يحدث! ليل سرمدي بلا نهاية، انهيار لم يشفع لقلبها المحترق بأن يهدأ، أصبح كل ما تتمناه هو مجرد نظرة وداع أخيرة، وقبر تذهب إليه لتخبره كم تشتاق إليه وكم عصفت بها الدنيا من دونه!

مرت عدة أيام دون أن يجدوا أي أثرٍ له، ثم توقفت فرق الإنقاذ عن البحث إجبارياً لهبوب عاصفة قوية منعتهم من النزول إلى المياه لعدة أيامٍ أخرى، لتقضي بذلك على أي أملٍ في العثور على جثمانه.

حاجز بناه عقلها ليمنعها من تذكر ما حدث قبل رحيله، حاولت مرارا أن تخترقه لتتذكر أحداث النهاية، كيف كان آخر لقاء بينهما؟! هل ودعها؟ هل اعتذر منها وأخبرها كم يحبها؟ أم أنه انصرف في لامبالاة كعادته وكأنه يضمن عودته لا

محاله؟ لماذا لا تتذكر؟ كيف لذلك العقل اللعين أن يتلاعب بها هكذا؟ ما الذي يخفيه عنها أليس لها الحق بالاحتفاظ بذكرياتها الخاصة؟!

ازدردت ريقها وهي تعتصر عينيها في مرارة، ثم قررت أن تحتفل بذكرى زواجهما فأحضرت جميع الصور التي تجمعهما من الخزانة، وكانت قد طبعتها بعد وفاته ليتسنى لها أن تمسكها بيديها وتبقيها بجوارها متى شاءت.

وضعتها على الطاولة في غرفة المعيشة، ثم جلست على الأريكة المقابلة لها، وجعلت تشاهدها الواحدة تلو الأخرى، تتأملها فتضحك تارة وتبكي تارةً أخرى، حتى أمسكت بإحدى الصور فلاحظت شيئاً لم تلاحظه من قبل، شعرت بالدماء تحتقن في وجهها وثارت صائحةً:

-"إنتي ازاي لسه هنا لحد دلوقتي؟!"

ثم مزقت الصورة في انفعالٍ جارف محاولةً السيطرة على أنفاسها المتلاحقة، واستعادت هدوئها، محدِّثةً نفسها:

-"إهدي يا ندى! انهاردة مش هتفتكري غير كل ذكرى حلوة كانت بينكم وبس"

تركت الصور وفتحت الحاسوب لتشاهد الفيديوهات التي يظهر فيها مروان، يتحدث ويضحك ويلعب مع مالك، تنهدت في أسى وهي تقول بصوتٍ متهدج:

-"ساعدني يارب!"

شعرت بانقباضةٍ شديدة في قلبها، فقررت الاكتفاء بهذا القدر، أغلقت ملف الفيديو، وفتحت حسابها على الفيسبوك تتصفحه محاولةً الانشغال بأي شيء آخر.

مضت نحو نصف الساعة وهي تتنقل بين المنشورات بلا هدف تقرأ بعضها وتتجاهل البعض الآخر وهي تتابع التمرير على الأسفل، ثم تجمدت عيناها على أحد الفيديوهات التي تعرض تلقائياً، كان فيديو دعائي لمطعم شهير، انتفض جسدها في هلع واقتربت من شاشة الحاسوب حتى كادت عينيها تلتصق بها وهي تعيد تشغيل الفيديو مراراً، ثم تراجعت إلى الخلف في ذهول وقد اتسعت عيناها عن آخرهما، قامت بحفظ المنشور ثم هرعت إلى هاتفها تتصل بطبيبها النفسي الذي يعالجها منذ وقوع الحادث، لم يكد يجيب المكالمة حتى صاحت قائلةً:

-" دكتور رأفت إلحقني! مروان لسه عايش!"

مضت نحو نصف دقيقة صمت قبل أن يعقب دكتور رأفت قائلاً:

-"عارفة يا ندى دي المرة الكام اللي تقوليلي فيها الكلمة دي من يوم الحادثة؟!"

أجابته مسرعة:

-"المرادي غير كل مرة! أنا هجيلك عشان تشوف بنفسك!"

-"ماشي يا ندى اديني ساعتين وهكون في العيادة"

أغلقت الهاتف ونظرت إلى الساعة التي كانت تشير إلى الثانية ظهراً، قالت في حماس:

-"طلعوا من بدري! لازم أروح أجيب مالك"

ارتدت ملابسها سريعاً وأمسكت بهاتفها لتتصل بوالدة سيف،

-" الهاتف الذي تتصل به ربما يكون مغلقاً!"

اصطدمت العبارة بمسامعها، لتضاعف من ارتباكها، أعادت الاتصال مراراً بلا فائدة، حاولت الاتصال بالمدرسة لكن لم يجيبها أحد، سارعت بالذهاب إلى هناك وهي لا تكف عن محاولة الاتصال بوالدة سيف دون جدوى، وصلت إليها بعد ما يقارب الساعة لتجدها مغلقة، أغلقت عينيها تعتصر عقلها محاولةً تذكر عنوان منزل سيف، لكنها تذكرت أن والدته لم تجبها حينما سألتها بالأمس فقط أخبرتها بأنها سوف ترسل لها الموقع على الواتساب، لكنها لم تفعل حتى الآن! شعرت بأنها وسط دوامة في قلب بحر هائج تجذبها نحو القاع بلا رحمة! لا ليس الآن! اجتاح الدوار رأسها وأحكم الظلام قبضته على عقلها وعينيها حتى سقطت في بئرٍ سحيق ليس له قرار!

****

ليلة باردة، سماؤها ملبدة بالغيوم تحجب ضوء القمر لتزداد ظلمة الليل، صوت صفير الرياح يثير الرهبة في النفوس، وصلت السفينة إلى البوابة الخلفية لترعة الهويس ووقفت في انتظار فتحها، دقائق مضت ثم عبرتها ليعاد إغلاقها ثانية ومن

ثم بدء الملء، اندفعت المياه من البوابات الجانبية ليرتفع منسوب المياه بداخل الهويس تدريجياً، وقبيل انتهاء الملء بدقائق انحرفت سيارة عن جانب الطريق لتسقط في ترعة الهويس، انتهى الملء وفتحت البوابة الأمامية، لتتابع السفينة سيرها في هدوء، رغم قوة التيار المائي في تلك الليلة مع اشتداد الرياح، مما تسبب في دفع السيارة لعدة أمتار خارج ترعة الهويس لتنجرف نحو أعماق البحر!

صرخة مدوية لم يسمعها أحد، انطلقت من حلق ندى وهي بداخل السيارة تراقب المياه تغمر السيارة من كل اتجاه، دقائق معدودة قبل أن تتخذ طريقها في إصرار نحو الأسفل، وقبل أن تغيب عن صفحة المياه، لمحتها تقف من بعيد، فوق الكوبري أعلى الهويس، تراقبها في ظفر تلوح على شفتيها شبح ابتسامة شامتة، سقطت السيارة نحو الأسفل لتصطدم ندى بالزجاج الأمامي، شعرت برأسها تنزف، تحسست الزجاج بيدها لتجده قد تشقق، أدركت أنه سينكسر في أية لحظة، لم تكن المياه قد دخلت إلى السيارة حتى الآن، ووسط ظلمة الأعماق رأت وجهه بوضوح، خلف الزجاج الأمامي، يراقبها وعلى وجهه ضحكة شيطانية خبيثة، نظرت إليه في توسل، اقترب من الزجاج أكثر ثم هوى عليه بقبضته، ليتكسر وتندفع المياه إلى داخل السيارة بقوة هائلة، شعرت ندى بجسدها يتمزق من قطع الزجاج المكسور قبل أن ينفتح باب السيارة ويلقي بجسدها نحو أعماق البحر!

-"ندى! فوقي!"

رفعت جفنيها الثقيلين في بطء، وهي تنظر حولها في فزع وضربات قلبها تتزايد من فرط الخوف، تنظر إلى جسدها في هلع للتأكد من أنه لم يتمزق، تابع دكتور رأفت حديثه محاولا تهدئتها:

-"اهدي يا ندى! أنا جيت علطول أول ما الناس كلموني، إنتي جتلك الأزمة تاني وأغمى عليكي، لقوا نمرتي أخر نمره طلبتيها على موبايلك فاتصلوا بيا، الحمد لله كنت في طريقي للعيادة فوصلتلك بسرعة"

صاحت ملتاعة:

-"الحقني يا دكتور رأفت! مالك مش عارفة هو فين م..."

قاطعها دكتور رأفت وهو ينظر إليها بإشفاق:

-"مامت سيف خدته يقضي اليوم معاهم وموبايلها مقفول وانتي مش عارفة العنوان"

اتسعت عيناها عن آخرهما وهي تسأله في تلعثم:

-" إنت عرفت ازاي؟!"

أطلق دكتور رأفت زفرة حارة وهو يجيبها في ألم:

-"عشان يا ندى اللي بتحكيه ده حصل من اسبوعين!!!!"

الجزء الثاني

-"مدام ندى؟ أنا سهيلة مامت سيف مع مالك في المدرسة "

-"أهلا بيكي خير"

-"سيف لسه جديد في المدرسة ومالوش أصحاب والموضوع مأثر على نفسيته فحبيت أستضيف كام طفل من اللي معاه في الكلاس عندي في البيت عشان ياخدوا على بعض ويقربوا منه ويحب مدرسته الجديدة"

-"مفيش مشكلة فين عنوان حضرتك؟"

-"أنا ساكنة قريب من المدرسة هبعتلك اللوكيشن، مش لازم تتعبي نفسك، أنا هاخدهم معايا من هناك وانتي ابقي خديه من البيت عندي آخر اليوم"

****

دموع ندم حارة انسابت على وجنتيها وهي تتذكر ذلك الحوار، كيف لم تتحقق منه؟ وكيف أخبرت مسئولة المدرسة أن تترك مالك يذهب مع تلك المرأة المدعوة سهيلة حينما اتصلت بها من هناك، وطلبت منها الحديث مع المشرفة لتسمح لها باصطحاب مالك دون أي ضمانات وحتى من قبل أن ترسل لها موقع منزلها؟!

تنحنح دكتور رأفت وهو يدخل إلى غرفة الكشف حيث تستلقي ندى على الأريكة المخصصة للاسترخاء حيث اعتادت الجلوس في كل مرة تأتي فيها إلى العيادة، جلس دكتور رأفت على الكرسي المجاور لها، ثم دخلت الممرضة أمل تحمل في يدها كوباً من عصير الليمون الذي طلب منها دكتور رأفت إعداده لندى، حاولت إعطاؤه لها لكن الأخيرة رفضت تناوله، فطلب منها وضعه بجوارها والانصراف، ثم قال مخاطباً ندى بنبرةٍ هادئة:

-"عاملة إيه دلوقتي يا ندى؟"

أجابته في اضطراب:

-"أنا مش عارفة إيه اللي بيجرالي؟ إزاي بتوه كده وبنسى اللي بيحصل؟"

-"من الصدمة يا ندى! دي تاني صدمة كبيرة تتعرضيلها فوقت قصير نسبياً، وعقلك رافض يصدق"

انفجرت باكية، فصمت دكتور رأفت في انتظار أن تهدأ قليلاً، حتى سألته بصوتٍ متحشرج من فرط البكاء:

-" ممكن تكملي اللي حصل بعد كده مش قادرة أفتكر! يعني أنا بلغت الشرطة وهما بيدورو عليه ولا إيه؟"

أخذ دكتور رأفت نفساً عميقاً ثم أجابها في أسف:

-"أيوه يا ندى بلغتي الشرطة طبعاً وهما بيدورو عليه، بس للأسف الموضوع صعب جداً، لإن مفيش حد في فصل مالك اسمه سيف، ولا الست اللي راحت المدرسة وأخدت مالك حد شافها قبل كده هناك، مفيش أي معلومات عنها غير شوية أوصاف عامة جداً من المشرفة اللي سلمتلها مالك متوصلش لحاجة، خاصةً إنها كانت لابسة طرحة ونضارة شمس مغطية نص وشها وكمامة مغطية النص التاني فمقدرتش توصف ملامحها، ورقم التليفون اللي كلمتك منه للأسف مقفول من يومها ومتسجل باسم شخص عايش برا مصر من سنين ومحدش يعرفله طريق، وواضح ان الخط اتباع من غير ما البيانات تتغير"

تردد دكتور رأفت لحظة قبل أن يسألها:

-"في سؤال يا ندى كل مرة بأجله عشان مضايقكيش، بس أنا هسألك المرادي، انتي ما قولتيش لمالك إنه هيروح عند سيف صاحبه؟ وهو ما قالكيش انه معندوش حد في الفصل اسمه سيف؟"

أجابته في حزن وهي تتحاشى النظر إليه:

-"ما انت متابع حالته وعارف ان مالك بيتهته في الكلام بسبب اختفاء باباه المفاجئ من حياته وده أثر عليه وخلى كلامه قليل، وبقى انطوائي ومالوش أصحاب مقربين في المدرسة، أنا لقيتها فرصة كويسة إنه يبقاله أصحاب، ولما سهيلة أو أياً كان اسمها كلمتني قولتله مامت سيف عازماك عندها، رد وقالي: س..سليم، افتكرته متلخبط في الاسم ومركزتش أوي في الموضوع"

رمقها دكتور رأفت بنظرة لوم لمحتها وهي تسترق النظر إليه بعد أن أنهت حديثها، فاعتصرت عينيها ودموعها الحارة تنساب في مرارة ثم ما لبثت أن فتحتهما عن آخرهما وتصيح قائلة:

-" مروان! مروان هو اللي أخد مالك! أنا فهمت يا دكتور رأفت، مش قولتلك مروان عايش يبقى أكيد هو اللي ورا خطف مالك"

زم دكتور رأفت شفتيه ممتعضاً وقد أدرك أنه على أعتاب سماع هلاوس جديدة من وحي خيال ندى، لكنها اعتدلت واقفة وهي تسأله في إصرار:

-"فين اللابتوب اللي كان معايا؟!"

دون أن يعقب بكلمة، طلب من أمل إحضاره، ففعلت وأعطته لندى التي سارعت بدورها بفتحه وتشغيل الفيديو الذي قامت بحفظه صباح اليوم، ثم أدارت الشاشة باتجاه دكتور رأفت، دقق النظر في الشخص الذي أشارت إليه ندى، انعقد حاجبيه وأعاد عرض الفيديو أكثر من مرة، ثم حك ذقنه وهو يقول متعجباً:

-"مقدرش أنكر إن في شبه بدرجة كبيرة من مروان، ما أنا حفظت شكله من الصور اللي بتجيبيها معاكي في كل جلسة بحجة انها بتساعدك على العلاج، لكن برضو منقدرش نجزم ان هو، الكاميرا مش قريبة بدرجة كفاية والفترة الذي ظهر فيها كام ثانية بس"

-" هو يا دكتور أنا بقولك هو، دا جوزي وأقدر أطلعه من بين ألف واحد"

قالتها ندى في انفعالٍ بالغ، فحاول دكتور رأفت تهدئتها قائلاً:

-"طيب يا ندى هنفترض ان هو، تقدري تقوليلي كان فين من يوم الحادثة؟ وليه هيخطف مالك بالطريقة دي؟ أنا شايف إنك محتاجة تهدي وتفكري كويس في كل الاحتمالات، وابتدي من الأول يا ندى مش من الآخر إيه اللي خلى مروان يروح عند الهويس يوم الحادثة؟!"

ارتفع حاجبي ندى وحدقت في عيني دكتور رأفت بنظرة عجيبة سرت لها قشعريرة باردة في جسده وهو يتطلع فيها ذاهلاً، وفي ذهنه تتردد عبارة واحدة:

-"تلك الفتاة إما أنها مجنونة أو أنها تخفي شيئاً!"

****

-"مش عاوز جنان يا ندى! أيوه كنت بكلمها عادي زي أي حد تاني في الحفلة، وبعدين مش دي عاليا أنتيمتك اللي لازم تكون موجودة في كل مناسبة"

-" إنت عارف كويس أني ما عزمتهاش المرادي وياسر صحبك هو اللي قالها عالحفلة، لما زمايلك قرروا يجمعوا فلوس من بعض عشان يجيبولك هدية بمناسبة الترقية الجديدة، والغريب اني كنت متخيلة انها هتزعل لاني معزمتهاش متوقعتش تيجي وتاخد الموضوع بالبساطة دي"

-" قولتيها بلسانك! ياسر اللي قالها يبقى أنا مليش دعوة وانتهى الكلام في الموضوع ده"

****

عضت ندى على نواجزها وهي تتذكر ذلك الحوار بينها وبين مروان قبيل الحادث بأيام، "تلك اللعينة عاليا كانت تتودد إليه ثانيةً" ترددت العبارة في عقلها وهي تستلقي على سريرها بعد ذلك اليوم المجهد، محاولةً التفكير في كل ما حدث معها وربط الأحداث ببعضها كما طلب منها دكتور رأفت، لعلها تصل إلى شيء ذو فائدة، سيطرت على عقلها فكرة أن مروان حي وهو وراء خطف مالك، لم يعد عقلها يفكر في شيء سوى في إثبات صحة تلك النظرية...

ياسر هو من اتصل بها وأبلغها بالعثور على سيارة مروان غارقة بالقرب من الهويس، بالقليل من التفكير نستنتج أنهما دبرا تلك الحادثة المزيفة سوياً ليتسنى لمروان الهرب، وبالمزيد من التفكير نستنتج أيضاً أن تلك اللعينة عاليا على علمٍ بما يحدث، اتسعت عيناها وشهقت في فزع حينما خطرت تلك الفكرة ببالها وهي تغمغم محدثةً نفسها:

-"يبقى عاليا هي سهيلة وخطفت مالك عشان توديه لمروان ويعيشوا هما التلاتة مع بعض"

تذكرت حينما أتت عاليا لحضور عزاء مروان كيف نهرتها وتشاجرت معها ونعتتها بالخائنة المنافقة ثم طردتها ولم ترها أو تعرف عنها شيئاً منذ ذلك اليوم، لكن خطب ما لم تفهمه أبداً! تلك الحالة التي كانت عليها عاليا ذلك اليوم، ملامح الحيرة

والذهول، ونظرات التعجب التي أمطرت بها ندى رغم انفعالها الجارف، حتى أنها لم تنطق بحرفٍ واحد، لم تغضب أو تثور أو ترحل مستاءة، فقط ظلت تحدق فيها على نحوٍ عجيب ليس له تفسير!

قفزت من فوق السرير وأنفاسها تتلاحق دون توقف، وقد فقدت السيطرة على أعصابها تماماً، ثم اتخذت قرارها بالذهاب إلى منزل عاليا في الحال!

لكن حدث مالم يكن بالحسبان! داهمتها تلك الحالة مجدداً بدأ الظلام يتسلل إلى عقلها ليفقدها القدرةعلى الحراك، تواثبت دقات قلبها وشعور مباغت أحكم قبضته عليها، وكأنها بداخل مركبة تتحرك بسرعة جنونية لا تستطيع إيقافها، حاولت الصراخ فانحبس صوتها في حنجرتها بلا سبيل للفرار، وعبارة واحدة تتردد في رأسها كدوي النحل: "يوم الحادثة! كل حاجة خلصت قبل ما تبتدي!"

الجزء الثالث

دقت ندى جرس باب منزل عاليا ووقفت تنتظر أن يفتح، ووجهها يحتقن بالدماء من فرط التوتر والانفعال، لم تصدق عاليا عينيها حينما رأتها أمامها، انتابها شعور جامح بالضيق والسخط وهمت بإغلاق الباب في وجهها، لكن ندى لم تستطع تمالك أعصابها أكثر وباغتتها بالسؤال:

-"مالك فين يا عاليا؟ عارفة لو مرجعتليش ابني هقتلك بإيدي"

اتسعت عينا عاليا وهي تحدق في وجهها، وامتزجت ملامح الدهشة بملامح الخوف، وسألتها مستفهمة:

-"ماله مالك؟ أنا معرفش عنه أي حاجه"

دفعتها ندى بكلتا يديها إلى داخل المنزل وأغلقت الباب خلفها ثم ركضت نحو الغرف تبحث عنه، وقفت عاليا تتابعها بأعين ذاهلة حتى انتهت مما تفعله، ثم عادت إليها وهي تصيح قائلةً:

-"خلاص يا عاليا لعبتكم انكشفت، أنا عرفت ان مروان عايش وان هو اللي خلاكي تخطفي مالك، ما كفاكيش إنك كنتي بتحاولي تخطفي جوزي كمان بتخطفي ابني؟"

انطلقت شهقة مدوية من حلق عاليا وهي تحاول استيعاب ما قالته ندى للتو، ثم قالت في ذهول:

-"مالك اتخطف؟"

ثم انعقد حاجبيها وهي تضيف:

-"ومروان عايش؟؟!"

لم تكترث ندى لأمارات الدهشه التي تعلو وجه عاليا وتابعت حديثها بلهجة تحذيرية صارمة:

-"تقولي لمروان يرجعلي مالك وإلا المرادي أنا اللي هموته بجد!"

أنهت عبارتها وانصرفت دون أن تعطي عاليا فرصة لأن تعقب بكلمة واحدة.

سكنت عاليا في مقعدها لوهلة تحاول السيطرة على حالة الذهول التي تعتريها، ثم سارعت بالاتصال بياسر لتقص عليه ما قالته ندى وهي تلومه لعدم اخبارها بموضوع خطف مالك، وتستفهم منه عن مدى صحة كون مروان لا يزال حياً، لكن ردة فعل ياسر ضاعفت من دهشتها، حينما تلعثم وطلب منها إغلاق المكالمة لانشغاله وأخبرها بأنه سيتصل بها لاحقاً.

جلس ياسر وعاصفة هوجاء من المشاعر المختلطة تعتصر كيانه، وقد تذكر ذلك الحديث الذي دار بينه وبين مروان قبل الحادث بفترة وجيزة....

****

-"أنا زهقت يا ياسر ندى كل ما الوقت يعدي بتزيد تقلباتها المزاجية بشكل مرعب وكإنها بتتحول من شخص لشخص تاني في دقايق معدودة، أنا ابتديت أخاف على مالك منها".

ضحك ياسر ساخراً من حديث مروان وهو يجيبه قائلاً:

- "كلهم كده يا صديقي إنت بس اللي مكبر الموضوع!"

بملامح جامدة ونبرة صوت صارمة:

-"لأ يا ياسر ندى مش طبيعية أنا متأكد إنها مريضة"

-"طب ما توديها لدكتور عشان تتأكد"

مط مروان شفتيه في حيرة ثم أجابه بآخر عبارة توقع سماعها منه:

-"ما أنا وديتها فعلاً واتأكدت"

ارتفع حاجبي ياسر وقال صائحاً:

-" طب وهتعمل إيه هتطلقها؟"

-"لأ طبعاً!"

ثم صمت وهو يستكمل العبارة في عقله:

-"لو طلقتها هتاخد حضانة مالك والشقة وكل حاجة، لازم أخلص منها!"

لم يزد حرفاً إضافياً واكتفى بتلك النظرة المبهمة التي برقت في عينيه ولم يفهمها ياسر مطلقاً!

****

ظل ياسر يفكر طوال اليوم هل يعقل أن تكون تلك هي خطة مروان للخلاص من ندى؟ ولكن إن كانت كذلك فلماذا لم يتواصل معه كل تلك الفترة؟ ولماذا تأخر في خطف مالك هكذا؟ والسؤال الأهم هو كيف عرفت ندى بأنه لا يزال حياً؟!

****

في عيادة دكتور رأفت...

-"غمضي عينك يا ندى واحكيلي كل اللي انتي فاكراه قبل ما مروان يختفي يوم الحادثة"

أجابته ممتعضة:

-"تاني يا دكتور رأفت! بقالي ٨ شهور تقريباً بقولك مش فاكره! كإن اليوم ده اتمحى من ذاكرتي تماماً، فاكره اليوم اللي قبله وفاكره من أول مكالمة ياسر لما قالي انهم لقوا عربية مروان غرقانه"

-"ماشي ياندى احكيلي اليوم اللي قبله، عارف إنك حكيتيه كتير زودي كمان مرة"

زفرت ندى في ضيق ثم بدأت بالحديث:

-"كنا بنتغدى بره البيت، واليوم كان ماشي كويس، لحد ما جه تليفون لمروان، سابني مع مالك وقام يرد بعيد، طبعاً أكيد كانت عاليا"

قاطعها دكتور رأفت قائلاً:

-"شُفتي الاسم على الموبايل أو سمعتي صوتها لما كلمها"

هزت رأسها نافية وهي تجيبه:

-"لأ بس أنا متأكده أنه كان بيكلمها"

تنهد في ضيق ثم أشار إليها لتتابع حديثها فاستطردت قائلةً:

-" أنا اتضايقت جداً واللي زاد وغطى مالك دلق الأكل كله على هدومه"

ثم صمتت لثوان قبل أن تتابع:

-"مش فاكرة إيه اللي حصل بعد كده، لقيت نفسي في البيت ومروان بيتخانق معايا ومالك عمال يعيط وإيده متعوره، مروان قال إني ضربته عشان دلق الأكل لحد ما تعور"

ألقى دكتور رأفت سؤاله التالي:

-"قوليلي يا ندى روحتي عند الهويس قبل كده؟"

اعتلى الحزن وجهها وهي تجيبه:

-"أيوه كتير! شط الهويس واخد جزء كبير من الطريق للبلد اللي أهلي عايشين فيها، بنعدي عليه في كل مره بروح أزورهم"

-" قولتيلي قبل كده إنه بيرتبط بحادثة مؤلمة اتعرضتيلها زمان"

تلألأت الدموع في عينيها وهب تجيبه في مراره:
-"أيوه، أخويا غرق فيه زمان"

اعتدل دكتور رأفت في جلسته ونظر في عينيها وهو يباغتها بسؤاله التالي:

-"ورُحتوا فين بقى انتي ومروان يوم الحادثة الصبح؟"

التففت إليه بحركة حادة وهي تحدق في عينيه بتحدي وقد تبدلت ملامحها على نحو مفاجئ وارتفع حاجبها الأيسر تجيبه مسرعة:

-"ما قولتلك مش فاكرة حاجة عن يوم الحادثة"

لاح شبح ابتسامة حائرة على شفتي دكتور رأفت، ثم أنهى الجلسة قائلاً:

-"انتي تعبتي انهاردة كفاية كدة وأشوفك الأسبوع الجاي"

أجابته بإيماءة من رأسها وغادرت الغرفة دون كلمة إضافية، دخلت أمل فور انصرافها وهي تتأمل وجه دكتور رأفت الغارق في تفكير عميق، فتنحنحت تسأله:

-"وصلت لحاجة يا دكتور؟!"

رفع رأسه ناظراً إليها مجيباً في ثقة:

-"لسه يا أمل، بس أنا متأكد ان الصدمة التانية هتكشف الحقيقة!"

****

نظرت ندى من العين السحرية لباب منزلها، فوجدت ياسر هو من رن الجرس، فتحت الباب ترمقه في تحفز، قائلةً:

-"إيه صاحبك باعتك تخوفني؟"

أجابها مدهوشاً:

-"صاحبي مين يا ندى إيه اللي بتقوليه ده؟"

تركت باب المنزل مفتوح وطلبت منه أن يجلس على الكرسي المجاور للباب، ثم أحضرت اللابتوب الخاص بها وقامت بعرض الفيديو الذي ظهر فيه مروان، امتقع وجه ياسر وهو يدقق النظر في الفيديو صائحاً:

-"مستحيل!"

ثم انتقل إلى صفحة المطعم الرئيسية التي نشرت الفيديو الدعائي وهو يغمغم:

-"ممكن يكون الفيديو قديم، إتصور قبل الحادثة لازم نعرف تاريخ البوست"

رمقته ندى بنظرة هازئة ظناً منها أنه يحاول خداعها بعد أن كشفت الحقيقة، لكنها ظلت صامته تتابع ما يفعله، انعقد حاجبي ياسر حينما وجد تاريخ البوست قبل أسبوع واحد فقط!

ضحكت ندى في ظفر وهي تخاطبه بنبرةٍ ساخرة:

-"دور على حجة تانية عشان دي مش هتنفع للأسف"

أجابها ياسر في حدة:

-"على فكرة تاريخ البوست مالوش علاقة بتاريخ تصوير الفيديو، ممكن فعلاً يكون الفيديو متصور من فترة ونزل دلوقتي، أو البوست ده إعادة نشر"

بدا كلامه منطقياً بعض الشيء بالنسبة لها، فقالت بارتباك:

-"وهنتأكد ازاي؟!"

حك ياسر ذقنه مفكراً وهو يجيبها:

-" ممكن نروح المطعم ونحاول نسألهم، المطعم ده ليه فروع كتير في معظم المحافظات نروح الفرع الأقرب لينا ونسألهم، راقت الفكرة لندى فقالت في حماس:

-"استناني أنا هاجي معاك!"

لكن ياسر استوقفها قائلاً:

-" قوليلي الأول إيه حكاية خطف مالك، حصلت إمتى وازاي؟"

دمعت عينيها في ألم، ثم أجابته باقتضاب:

-"من أسبوعين"

اتسعت عينا ياسر عن آخرهما قبل أن يلقي بعبارته كقذيفة مدوية على مسامع ندى:

-"أسبوعين ازاي! أنا لسه متصل اتطمن عليكم الأسبوع اللي فات ومالك هو اللي رد عليا!"

الجزء الرابع

تسلل الخدر إلى قدمي ندى فألقت بجسدها على أقرب كرسي، بعد تلك العبارة المفاجأة التي اخترقت اذنيها للتو، بعد أن أخبرها ياسر بأن مالك هو من رد على اتصاله الأسبوع الماضي، بيدٍ مرتعشة أمسكت بهاتفها المحمول وسارعت بالاتصال بدكتور رأفت، الذي لم يكد يجيب المكالمة حتى انفجرت صائحة تروي ما قاله لها ياسر وتطالبه بتفسير، بهدوئه المعتاد تركها حتى انتهت ثم أجابها بصوتٍ رصين قائلاً:

-"دا كلامك انتي يا ندى! انتي فوتِّي الجلسة بتاعتك وجلسة مالك كمان اللي كان معادها من 3 أسابيع، ومن أربع أيام لقيتك جاية لوحدك من غير ما تتصلي بأمل ولا تحجزي، وكنتي حزينة جداً وحكيتيلي اللي حصل لمالك وقولتي انه اتخطف من أسبوعين"

شعرت ندى بدوار شديد وتسارعت أنفاسها وهي تجاهد لتتذكر الترتيب الزمني لكل ما يحدث معها، أعادها دكتور رأفت إلى الواقع وهو يستطرد حديثه:

-"ندى! إنتي تايهه! محتاجة تركزي لو عاوزه ابنك يرجعلك، حاولي تفتكري ايه اللي حصل يوم الحادثة ومسببلك الحالة اللي انتي فيها دي! حالتك بتسوء مع الوقت، عقلك بينفصل عن الواقع، بيهرب من مواجهة الحقيقة، لازم تساعدي نفسك"

انهمرت دموعها بغزارة وقد كان لكلام دكتور رأفت أثر بالغ في نفسها، كان ياسر لا يزال جالساً يتابع ما يجري، وقد سمع كل ما قاله لها دكتور رأفت بعد أن طلب منها فتح مكبر الصوت ليفهم حقيقة الأمر، لكنه ازداد حيرة، شعر بعدم الارتياح لتلك العبارة التي علقت في مسامعه قبل قليل:

-"حاولي تفتكري اللي حصل يوم الحادثة؟؟!"

انتظر حتى هدأت ندى قليلاً، ثم سألها متعجباً:

-"ندى! انتي مش كلمتيني يوم الحادثة، وقولتيلي إن مروان خرج من بدري وما رجعش لحد دلوقتي وموبايله مقفول وطلبتي مني أدور عليه؟ وفضلنا ندور لحد ما عرفنا إن عربيته هي العربية الغرقانه قرب الهويس! إيه بالظبط اللي انتي مش فاكراه؟"

بعينين زائغتين نظرت إليه وهي تسأله في خفوت:

-" أنا كلمتك يوم الحادثة؟!"

ارتفع حاجباه وقد فاجأه ردها كثيراً، ثم تابعت قائلةً:

-"أن مش فاكرة أي حاجة عن اليوم ده يا ياسر غير مكالمتك اللي قولتلي فيها انكم لقيتو العربية غرقانة"

مطَّ ياسر شفتيه في حيرة، وقد تذكر حديث مروان عن كون ندى تعاني مرضاً ما، شعر بأنه كان على حق، تلك المرأة مسكينة حقاً، أخذ نفساً عميقاً وحاول تغيير دفة الحديث قائلاً:

-"عموماً يا ندى تقدري تروحي المدرسة يوم الحد، وتتأكدي منهم بنفسك امتى آخر يوم مالك كان موجود فيه هناك"

أومأت برأسها موافقة فاستطرد حديثه:

-"ودلوقتي خلينا نروح المطعم نسأل عن الفيديو!"

****

مزيج من الحزن والحسرة سيطر على عاليا وقد أربكها ما قالته لها ندى اليوم، أغلقت باب غرفتها لساعات، تجلس على سريرها وقد فقدت القدرة على الخروج من المنزل أو الرد على الهاتف أو فعل أي شيء سوى التفكير، دارت الأسئلة كطواحين الهواء بعقلها:

"أيعقل أن يكون مروان حياً؟ هل خدعني لينفذ خطته ويهرب هو ومالك وحدهما؟ هل كان كل تلك الفترة يكذب ويوهمني بأنه يحبني فقط لأساعده في الخلاص من ندى؟"

ثم تذكرت تلك الأيام التي كانا يجلسان فيها في أحد المطاعم يفكران في جميع الاحتمالات، يرسمان خطة الخلاص من ندى، لقد رسمت له المخطط بأكمله لم تدع له سوى التنفيذ، لكن ما حدث في الحقيقة كان غريباً للغاية ولم تفهمه على الإطلاق.....

****

-"فكري معايا كويس يا عاليا، انتي عارفة كل حاجة عن ندى، عارفة حتى اللي أنا معرفوش دا انتو مع بعض من ثانوي"

بضحكة ساخرة أجابته:

-"طبعاً علشان كده انت جيتلي أساعدك يا مروان، محدش هيقدر ينسفها من الوجود غيري"

-"ثقتك في نفسك دي أكتر حاجة شداني ليكي"

أطربتها عبارته فتابعت في زهو:

-"شوف انت بقالك قد إيه بتفكر ومش عارف تبتدي منين، اسمع اللي هقولهولك ده وانبهر!"

تنبهت حواسه وهو في انتظار سماع تلك الخطة الشيطانية التي ستخبره بها الآن، تابعت بعينين متقدتين:

-"أنا عارفة مامت ندى كويس، ومتأكدة إنها ما حكيتلهاش حاجة عن شكها فيا لإنها ما بتحبش تضايقها وتشيلها الهم من يوم حادثة أخوها، أنا هروح أزورها في بلدهم، وأعيطلها وأحكيلها إن ندى جالها مرض نفسي بقالها فترة، وإني خايفة على مالك منها وإنت كمان هتقول الكلام ده لياسر عشان لما تنفذ يشهد معاك ويأيد كلامك هو ومامتها"

تضاعف حماسه لسماع المزيد فقهقهت عاليا ضاحكة وهي تتابع:

-"هقولها تكلم ندى الصبح وتطلب منها تروحلها لوحدها ضروري في نفس اليوم عشان متديهاش فرصة ترفض، ولما توصل عندها تطلب منها تفضل قاعدة معاها كام يوم عشان تريح أعصابها شوية وتغير جو يمكن ده يحسن حالتها، وطبعاً هأكد عليها ما تجبش سيرتي عشان ندى ما تزعلش مني، وانت دورك إنك توافق علطول أول ما ندى تقولك، وتطمنها على مالك في فترة غيابها، وبعدين هتسيبها تحضر شنطتها وتخرج انت ومالك مع ياسر من غير عربيتك، وتقوله ان ندى سافرت بيها الصبح بدري في الوقت اللي هتقول لندى انك بتحضرلها العربية عشان تكون

جاهزه للسفر، هتسيب مالك مع ياسر وتقوله انك رايح مشوار مستعجل خاص بالشغل ومش هتتأخر، هتبوظ فرامل العربية قبل ما تديها لندى، وأنا عارفة خوف ندى من شط الهويس بيخليها تعلي سرعتها عشان تعديه بسرعة، تاني أكتر حاجة بتترعب منها على الطريق هي عربيات النقل الكبيرة، هتتفق مع حد من سواقين النقل مقابل مبلغ محترم هيستناها على الطريق في الاتجاه المعاكس، هتديله مواصفات العربية وتبلغه بالمعاد أول ما تبدأ ندى تنزل شنطها وتستعد عشان تتحرك، إنت عارف الطريق ده ضيق وحارة واحدة رايح جاي، بمجرد ما هيظهر قدامها هتحاول تفرمل مش هتعرف فتلقائياً هتلف عشان تتفاداه، فهيحصل حاجة من الاتنين يا إما مش هتلحق تتفاداه فهتخبط فيه بسرعتها، أو إنها هتلف بسرعتها برضه فهتغرق في الهاويس وفي الحالتين الموضوع منتهي ويبقى قضاء وقدر، وربنا يرحمها"

ضحكة مجلجلة رنت في أرجاء المكان انطلقت من حلق مروان وقد أعجبته الخطه إلى درجة تفوق توقعاته بكثير، ومنذ ذلك اليوم وهو يعيد التفكير في كل كلمة فيها لسد الثغرات المحتملة، ويتخذ كل استعداداته لتنفيذها بلا تردد!

****

وصل ياسر ومعه ندى إلى فرع المطعم الموجود بالبلدة، ثم طلب الحديث مع مدير المطعم بشكل ودي فرحب بهما وسألهما الدخول إلى مكتبه، فتح ياسر الفيديو الدعائي واستفسر عن موعد تسجيله، فأخبره المدير بأن ذلك الفيديو به لقطات حية عشوائية تم أخذها من كاميرات المطعم بفروعه المختلفة، وهو أمر ليس من اختصاصه مطلقاً ولا يوجد موعد محدد لأخذ تلك اللقطات، فهي من اختيار مُعِد الفيديو!

فكر ياسر لدقائق ثم قرر إخباره بشأن مروان، وأشار إليه بداخل الفيديو، أبدى الرجل تأثره لما سمعه وقرر مساعدتهما، أملاً في أن يكون حياً بالفعل، فقال في حماس:

-" شكله مألوف بالنسبالي ممكن نسأل الاستاف أكيد عارفينه وممكن حد فيهم يفتكر"

وبالفعل انتظر الوقت المناسب وجمع العاملين في المكان، وعرض عليهم الفيديو فصاح أحدهم"

-"أستاذ مروان طبعاً فاكره، دا كان بيجي علطول ومعاه واحده"

احترق قلب ندى وشعرت بالدماء تغلي في عروقها، بينما توتر ياسر وقد أزعجه ضيقها، حدجه المدير بنظرةٍ نارية فارتبك النادل وقال متلعثماً:

-"لأ دا كان بيجي لوحده أنا اتلخبطت مع حد تاني"

قاطعه المدير محاولاً تغيير دفة الحديث:

-"المهم إمتى آخر مره شوفته؟"

-"مش فاكر بالظبط بس بقالي فترة طويلة ما شوفتوش أعتقد من كذا شهر، هو كان عارفني بالاسم ولازم كل ما ييجي يطلب مني أنا الأوردر بتاعه، عشان كده أنا متأكد إنه ما جاش من شهور"

زفر ياسر في ارتياح ثم قال موجهاً حديثه لندى:

-" شوفتي زي ما قولتلك، لقطات الفيديو قديمة"

لم يستطع عقل ندى تقبل تلك الحقيقة، إذن من خطف مالك؟ ولماذا؟

صكت مسامعها عبارة أعادتها من شرودها نطقها ذلك النادل:

-"افتكرت حاجة! آخر مرة شوفت فيها أستاذ مروان، سألني عن عربية النقل اللي كانت واقفة بره المطعم وطلب مني أدور على السواق بين الناس الموجودين، افتكر السواق كان اسمه..أيوب!"

اخترق ذلك الاسم خلايا عقلها وليس مسامعها فقط فأنعش فيها ذكرى مخيفة، انتابتها تلك الحالة مجدداً شعرت بالظلام ينسدل على عينيها، تلاحقت أنفاسها وبدأت تغيب عن الوعي وعقلها يجاهد ليتحرر من سجنه ويتذكر ما حدث، أو بالأحرى ما فعله أيوب!

الفصل الخامس

-"ندى! انتي كويسة؟"

رفعت جفنيها الثقيلين وهي تنظر حولها محاولة استيعاب ذلك المشهد، مجموعة من الناس الذين لا تعرفهم يحيطون بها ينظرون إليها في ترقب، تابع ياسر حديثه:

-"أتصل بدكتور رأفت؟ ولا تحبي أوديكي عنده"

بدأت تتذكر سبب وجودها في المطعم، وانتقل عقلها دفعة واحدة نحو الجزء الأخير من الحديث قبل أن تفقد وعيها، غمغمت بصوتٍ مسموع:

-"أيوب"

انعقد حاجبي ياسر وسألها مستفهماً:

-"انتي تعرفيه؟"
نظرت إليه مذعورة وأجابته في حدة:

-"لأ طبعاً هعرفه منين؟! أنا عاوزه أروح"
تعجب ياسر من ردة فعلها وأومأ برأسه متظاهراً بالتفهم، ثم أعاد سؤاله ثانيةً:

-"متأكدة إنك مش محتاجة تروحي لدكتور رأفت؟"
أجابته في مزيج من الإصرار والارتباك:

-" أيوه متأكده، أنا محتاجة أرجع بيتي"

انصرفا بعد أن شكر ياسر مدير المطعم وفريق عمله لتعاونه معهم، وأعادها إلى منزلها، لكنه شعر بعدم الارتياح لما حدث معها، ظل يفكر لبعض الوقت ثم تذكر الاسم المسجل لدكتور رأفت على هاتف ندى حينما اتصلت به أمامه "رأفت فهمي"، لم يكن من الصعب العثور على هاتف عيادته مع قليل من البحث عنه على الانترنت بالاسم والتخصص، سارع بالاتصال بالعيادة فأجابته أمل، طلب منها لقاء دكتور رأفت في أقرب وقت، أو أن يتصل به سريعاً لأمر هام يخص مدام ندى ثم ترك لها رقم هاتفه المحمول.

ما أن أبلغت أمل دكتور رأفت حتى سارع بالاتصال بياسر ليخبره بأنه في انتظاره.

****

دخلت ندى شقتها وأوصدت الباب وهي تتلفت حولها، حاله من الاضطراب تجتاح عقلها، ألقت بجسدها على الأريكة وهي تمسك رأسها بكلتا يديها، ذلك المشهد لا ينفك يفارق ذاكرتها، تقود سيارة مروان على طريق طويل، وفجأةً رأت سيارة نقل ضخمة تأتي من خلفها تقترب منها كثيراً على نحو لافت، سرت ارتجافة شديدة في جسدها وضغطت دواسة البنزين أكثر، لكن سائق السيارة ضاعف سرعته ليقترب أكثر من نافذتها وصاح بأعلى صوته:

-"الفرامل بايظة! ما تزوديش السرعة أكتر من كده!"

بحركة لا إرادية ضغطت المكابح فوجدتها بالفعل لا تعمل! صرخت بأعلى صوتها وانتابتها حالة من الهلع الشديد، صاح الرجل في انفعال جارف:

-"اهدي! كدة بتزودي الخطر، اسمعي اللي هقولهولك ونفذيه وانتي هتقدري توقفي العربية"

لاح شط الهويس أمامها، فتضاعفت ضربات قلبها، نظرت إلى الرجل في توسل ثم قررت تمالك أعصابها، فأومأت برأسها إيجاباً، تابع حديثه قائلاً:

-" أنا همشي قدامك بالعربية عشان أأمنلك الطريق اللي جاي لحد ما تقدري توقفيها، وانتي هترفعي فرامل اليد بالتدريج وبالراحة خالص، هتفضل السرعة تقل وبعدين هتقف، خدي وقتك وما تستعجليش لو رفعتيها جامد عربيتك هتتقلب"

بيد مرتجفة بدأت ندى تسحب المكابح اليدوية إلى الأعلى، في الوقت ذاته سبقها الرجل بسيارة النقل خاصته وسار أمامها محافظاً على مسافة فاصلة بينهما وهو يتابعها في مرآة سيارته بترقب، فعلت كما أخبرها تماماً، فأخذت سرعة السيارة تقل شيئاً فشيئاً، بدأت تلتقط أنفاسها وهدأت أعصابها قليلاً، تابعت ما تفعله حتى توقفت السارة بالفعل!

لم تصدق أنها نجت من ذلك الموقف المفزع، وانفجرت باكية، ترجل سائق سيارة النقل من عربته، وذهب ليطمئن عليها، فأمطرته بعبارات الشكر والامتنان قبل أن تتوقف فجأة وتحدق فيه متعجبةً وهي تسأله في ذهول:

-"إنت مين؟ وعرفت ازاي إن الفرامل بايظة؟"

أشفق الرجل لحالها وأجابها بنبرةٍ هادئة:

-"حمد الله على سلامتك الأول، أنا أيوب! اللي هقولهولك صعب تصدقيه لكن للأسف هو الحقيقة، فخليكي قوية عشان تعرفي هتتصرفي ازاي في اللي جاي"

بدت كلماته مرعبة إلى أقصى درجة، حدقت فيه وهي لا تدري إذا كان ما تسمعه حقيقة أم هلاوس، تابع أيوب حديثه يخبرها عن الاتفاق الذي أبرمه معه زوجها للخلاص منها، وعلى الرغم من رفضه كلياً ما طلبه منه مروان إلا أنه تظاهر بالموافقة لأنها الوسيلة الوحيدة لانقاذها فرفضه يعني أن يقوم شخص آخر بما رفضه، انتظرها عند بداية الطريق وسارع باللحاق بسيارتها ليساعدها على إيقافها قبل أن تضاعف سرعتها مع وصولها إلى شاطئ الهويس، بعد أن أنهى حديثه قام بإخراج المال الذي دفعه له مروان من جيبه قائلاً:

-"دي الفلوس اللي دفعهالي جوزك عشان أنفذ الاتفاق، خديها واهربي! وأوعي ترجعيله تاني، عشان هيقتلك!"

ثم تبدلت ملامحه فجأة على نحوٍ مفاجئ، وحدث آخر ما يمكن أن يخطر ببالها على الإطلاق!

****

صرخت ندى وهي تعتدل على أريكة منزلها قبل أن تهب واقفة، وهي تضع يديها على رأسها، ركضت إلى غرفتها ثم تيبست أقدامها أمام المرآة، تنظر إلى انعكاس صورتها على نحوٍ عجيب، قبل أن تتلاشى ملامح الخوف والفزع لتحل محلها ضحكة مريبة ونظرات واثقة، أمسكت بفرشاة شعرها وصففته في هدوء وهي تغمغم:

-"أخيراً افتكرتي!" قالتها وعقلها يتأهب لتنفيذ شيء قد تأخر كثيراً!

****

وصل ياسر إلى عيادة دكتور رأفت الذي كان بانتظاره، استقبله مرحباً وهو يتأمل وجهه الواضح عليه أمارات التوتر والارتباك الشديد، بادره ياسر بالحديث وأخبره

بما حدث في المطعم بالتفصيل منذ البداية وحتى أفاقت ندى، وتلك الحالة الغريبة التي كانت عليها، أشعل دكتور رأفت غليونه الالكتروني وهو ينصت إليه باهتمامٍ بالغ، انعقد حاجباه حينما وصل ياسر للجزء الخاص بسائق النقل وردة فعل ندى، جالت في خاطره عدة أسئلة لكنه آثر الصمت حتى ينهي ياسر حديثه، والذي أنهاه بعبارة غير متوقعة قائلاً:

-"ندى قالتلك إنها مش فاكرة حاجة عن يوم الحادثة، تعرف يا دكتور إن ندى هي اللي كلمتني اليوم ده وطلبت مني أدور على مروان!"

ارتفع حاجبي دكتور رأفت مدهوشاً وقد تذكر مدى إصرار ندى على كونها لا تتذكر شيئاً مطلقاً عن يوم الحادث، قطع ياسر أفكاره مستطرداً:

-"والأغرب إن يومها الصبح آخر مره قابلت فيها مروان قالي إن ندى سافرت لمامتها بنفس العربية اللي لقيناها غرقانة عند الهويس!!"

أخذ دكتور رأفت نفساً عميقاً، ثم قال بنبرته الهادئة المعتاده:

-" وليه بتقول الكلام ده دلوقتي بعد الحادثة ب 8 شهور؟ ليه ما قولتوش للشرطة يومها؟"

ارتبك ياسر وهو يجيبه:

-" عشان مروان قالي قبل كده إن ندى مريضة وتصرفاتها مش طبيعية، وكانت صعبانه عليا جداً من حالة الانهيار اللي كانت فيها يومها وهي قاعدة عند شط الهويس ساعات مستنيه يطلعوا جثته، خوفت كلامي يأذيها بأي شكل ومالك مالوش حد غيرها بعد موت مروان، ففكرت إنها ممكن تكون رجعت وبعدين هو سافر خصوصاً ان المسافة مش كبيرة تقريباً من ساعة إلا ربع لساعة بالكتير، واكتفيت بالتفسير ده وقتها، بس بعد ما سمعتك بتقولها انها لازم تفتكر اللي حصل يوم الحادثة وبعدين اللي حصل قدام عيني في المطعم، حسيت إن في حاجة مش طبيعية!"

-"عندك حق يا ياسر هو فعلاً في حاجة مش طبيعية، حاجة ما كنتش هعرفها لولا جلساتي مع مالك!"

اتسعت عينا ياسر في ذهول، تابع دكتور رأفت حديثه قائلاً:

-"الموضوع بقى أكبر من مجرد أسرار مريض، عشان كده أنا هقولك، آخر مرة سألت فيها مالك عن يوم الحادثة، وكان في كل مرة بيعيط بشكل هستيري ويسكت فأضطر أنهي الجلسة وأنادي على ندى علشان تدخل غرفة الكشف وتهديه لإني كنت برفض حضورها الجلسات بهدف إنه يعبر عن اللي جواه من غير أي ضغط، لحد المرة دي ما قالي:

-"ماما مشيت وأنا كنت هنام، سمعت واحدة بتكلم بابا في التليفون وهو قالها:

-"أنا مستني أتأكد من موتها!" وبعدها بشوية مشي وسابني في البيت لوحدي، افتكرت ماما ماتت وفضلت أعيط لحد ما رجعت"

صاح ياسر في نفاد صبر:

-"أنا مش فاهم أي حاجة، وإيه علاقة ده بأيوب؟ وبغرق مروان وبخطف مالك؟ مين اللي هيفكر يخطف مالك بالطريقة دي وليه؟ "

بنظره واثقه تطلع فيه دكتور رأفت وهو يلقي بعبارته التاليه كقذيفة مدوية على مسامعه:

-"مالك ما اتخطفش!"

الجزء السادس

فغر ياسر فاه وهو يحدق في وجه دكتور رأفت بدهشه عارمة، بعد تلك العبارة العجيبة التي اخترقت مسامعه للتو:

-"مالك ما اتخطفش!"

-"يعني إيه ما اتخطفش؟ وإنت عرفت ازاي؟!"

نفث دكتور رأفت دخان غليونه الالكتروني

، وعدّل نظارته بيده وهو يجيبه بنبرةٍ رصينة:

-"أنا هحكيلك الحكاية من أولها، الحالة اللي عند ندى اسمها "فقدان الذاكرة التفارقي" عبارة عن ثغرات في الذاكرة سببها التعرض لصدمة كبيرة، ممكن الثغرات دي تكون دقايق أو ساعات أو أيام وفي بعض الحالات بتمتد لسنوات أو طول الحياة، يعني ممكن المريض يفتكر اللي حصل خلال الثغرات دي أو ما يفتكرش خالص.

السبب في حالة ندى هي صدمة موت مروان، عقلها رفض يستوعب اللي حصل فقرر ينسى تفاصيل اليوم ده، المشكلة إن الثغرات دي بدأت تزيد بشكل ملحوظ وبقى عقلها بيعاني من فوضى حقيقية سببتلها حالة اسمها "اضطراب تبدد الشخصية والغياب عن الواقع"، في الحالة دي المريض بيحس إنه منفصل عن نفسه وإن كل اللي بيحصل حواليه مش حقيقي، لكن ده بيكون على فترات يعني المريض مش بيفقد الاتصال بالواقع تماماً، وضع ندى بقى خطر مش بس على نفسها لكن على مالك كمان وده اللي خلاني أفكر في اللي هحكيهولك دلوقتي.

لكن نرجع ليوم الحادثة الأول، الغريب إنها مش فاكره اللي حصل قبل ما إنت تبلغها بغرق مروان مش بعده، والمنطقي إن الصدمة تنسيها الموقف نفسه مش قبل ما يحصل، وبالمناسبة ده ما يتعارضش مع كونها اتصلت بيك يومها عشان تدور على مروان لإن فقدان الذاكرة التفارقي مش شرط يحصل بعد الصدمة مباشرةً لكن ممكن يستغرق ساعات أو أيام أو أكتر كمان.

لكن نسيانها لأحداث اليوم ده خلاني أشك إن في حاجة كبيرة حصلت يومها الصبح، واللي زود شكي واللي إنت أكدتهولي من شوية، هو كلام مالك عن خروج ندى يوم الحادثة الصبح بعلم مروان وكلامه مع واحده عن موت ندى اللي من المتوقع إنها كانت عاليا، وبعدين خروج مروان ومرجعش تاني!

فكرت في طريقة أضغط بيها على عقل ندى عشان أجبره يكشف اللي مخبيه من ناحية، ومن ناحية تانية أستغل حبها وخوفها الشديد على مالك بإني أفوقها وأرجع عقلها من حالة الانفصال عن الواقع اللي بتحصله لما تركيزها كله يكون منصبّ على رجوع مالك، ومن هنا جتلي فكرة تمثيلية خطف مالك!

فأقنعتها إنه محتاج يفضل في المصحة عندي كام يوم عشان محتاج متابعة مكثفة، في الأول رفضت وبعد شوية مناقشات وافقت ووقعت ورقة رسمية بموافقتها على دخول مالك المصحة، اتفقنا نستنى لآخر الأسبوع، وبعدين خليت أمل تكلمها على انها مامت صاحبه والباقي إنت عارفه، أمل أخدته من المدرسة بموافقة ندى وودته المصحة بموافقتها برضه"

اتسعت عينا ياسر في ذهول وصاح قائلاً:

-"طب ومحضر الشرطة والتحقيقات وكل اللي إنت قولته ليها عن خطف مالك من اسبوعين؟"

أجابه في ثقه:

-" زي ما قولتلك عقل ندى بيعاني من فوضى شديدة ونوبات انفصال عن الواقع عشان كده هي مش قادرة تتأكد من أي حاجة بتحصل حواليها!

مالك دخل المصحة امبارح بس، ومفيش محضر شرطة ولا أي حاجة حصلت، لإني زي ما توقعت بالضبط هي لما حاولت توصله وما عرفتش اتصلت بيا فوراً، وأنا كنت مستني لجؤها ليا علشان أقولها إن ده حصل من فترة والشرطة بتدور عليه، واوظف حالة الصدمة واللخبطة اللي هتحصلها في توجيه تفكيرها بالشكل اللي يطلع أسرار عقلها المستخبية، لكن موضوع الفيديو اللي ظهر فيه مروان فاجئني ولخبط حساباتي ووجه تفكيرها في ناحية تانية خالص، وكلامك اللي قولته إن مالك رد عليك الأسبوع اللي فات، ده كمان كان مفاجأة تانية متوقعتهاش، لكن

حاولت استفاد من الموقف على قد ما قدرت، بس واضح إن اسم "أيوب" سواق النقل كان هو مفتاح رجوع الذاكرة ليها"

بصوتٍ تعلوه الحيرة تساءل ياسر:

-" يعني هي دلوقتي افتكرت كل حاجة؟"
مط دكتور رأفت شفتيه وهو يجيبه:

-" مش شرط تفتكر كل حاجة، بس الأكيد إنها افتكرت حاجة مهمة للدرجة اللي توصلها للحالة اللي انت وصفتها"

-"وهنعمل إيه دلوقتي؟"

استغرق دكتور رأفت في التفكير لبضع دقائق قبل أن يجيبه:

-"لازم تجيلي هنا!"

أخرج هاتفه المحمول واتصل بها:

-"ندى افتكرت حاجة مهمه مالك كان قالهالي من فترة وعاوز اتناقش معاكي فيها"

أجابته بهدوء يتنافى مع تلك الحالة التي وصفها له ياسر قبل قليل:

-"مفيش مانع يا دكتور، هخلص مشوار مهم الأول وبعدين أجيلك"

انعقد حاجبي دكتور رأفت وقد فاجأه ردها كثيراً، ثم أخبر ياسر بما قالته، تعجب الأخير بدوره وغمغم قائلاً:

-"هتروح فين يا ترى؟ يمكن لأيوب؟"

رن هاتف ياسر في اللحظة ذاتها، اتسعت عيناه حينما وجدها عاليا، فأجابها مسرعاً:

-" ياسر! جاتلي رسالة من رقم غريب بتقولي إن مروان مستنيني عند الهويس ولازم أروح هناك حالاً! أنا خايفة ومش عارفة أعمل إيه؟!"

نظر ياسر إلى دكتور رأفت نظرة ذات مغزى وهو يجيبها:

-"روحي يا عاليا وأنا هحصلك على هناك!"

****

وقفت ندى بجوار شاطئ الهويس تنظر إليه في شجن، هو ليس مجرد شاطئ ومساحة من المياه كما يظهر للجميع، هو بالنسبة لها منبع الخوف والألم منذ حرمها أخيها قبل سنواتٍ طوال، لم تتوقع أن يأتي يوم وتقف أمامه تنظر إليه هكذا فلطالما كانت تتحاشاه سابقاً تتمنى لو يختفي من الوجود، لكنها مدينة له بالكثير في هذه اللحظة فلولا وجوده هنا بالذات لكانت حياتها أسوأ بكثير، أعادها من شرودها صوت السيارة القادمة باتجاهها، لاحت على شفتيها ابتسامة هازئة مريرة وهي تراقبها تقترب منها حتى توقفت، نزلت منها عاليا وهي تنظر إليها ذاهلة، بادرتها ندى قائلةً:

-"إيه هو كلمك انتي كمان؟!"

تلعثمت عاليا وحاولت إجابتها فقاطعتها ندى مستطردة:

-"بتحبيه أوي كده! لدرجة إنك تتفقي معاه يموت صحبتك!"

امتقع وجه عاليا وهي تجيبها صائحة:

-"إنتي شكلك اتجننتي عالآخر! يموت إيه وتخاريف إيه؟ أنا جيت دلوقتي هنا مخصوص عشان اعرف مكان مالك واقولك"

قهقهت ندى ضاحكة:

-"لأ أصيلة يا عاليا! ولما انتي يهمك مالك أوي كده كنتي عاوزه تفرقي بين أمه وأبوه ليه؟ ما لقتيش غير مروان؟"

اندفعت الدماء في وجه عاليا وردت بانفعال بالغ:

-"إنتي اللي عملتي كده مش أنا! عاوزه تعيشي دور الضحية طول عمرك ولازم طول الوقت كل الناس تتعاطف معاكي وتشيلك فوق راسهم من يوم ما أخوكي مات، مع إنك عندك كل حاجة، أم بتخاف عليكي وزوج موفرلك كل طلباتك وابن أي حد يتمناه، وبرضو مش عاجبك! "

تحشرج صوتها وقد اختنقت بالبكاء وهي تتابع:

-" وأنا طول عمري لوحدي، لا أب ولا أم بيسألوا عليا من وقت ما انفصلوا وسابوني لوحدي، ولا أخ ولا زوج ولا ابن، أيوه حبيت مروان بالذات وهو كمان حبني، من حقي أعيش مبسوطة، وهو أصلاً ما كانش عاوزك وكان هيسيبك مسألة وقت مش أكتر"

أومأت ندى برأسها إيجاباً وهي تقول:

-"وعلشان كده إنتو فعلاً تستاهلوا تفضلوا مع بعض للأبد!"

حدقت فيها عاليا في عدم فهم، فتابعت ندى حديثها وهي تخطو نحو سيارة عاليا قائلةً:

-" وانتي جايه بالعربية على هنا فكرتيني بمشهد كإن الزمن بيعيد نفسه، وأوعدك إنها هتكون نفس النهاية!"

لم تفهم عاليا لماذا تتجه ندى نحو سيارتها، تابعتها بعينيها مدهوشة وقد تجمدت في مكانها، بينما استرسل شريط الذكريات التي كانت مفقودة في ذهن ندى عما حدث ذلك اليوم...

****

تبدلت ملامح أيوب على نحوٍ لافت وهو يحدق في نقطة ما خلف ندى، التفتت الأخيرة بحركة حادة إلى حيث ينظر فارتجفت كل ذرة في كيانها حينما رأت مروان يقترب منها وهو يقود سيارة عاليا!

توقفت السيارة ونزل منها مروان تغلي مراجله من فرط الغيظ وهو يسارع الخطى باتجاه ندى وأيوب، عجزت ندى عن استيعاب كل ما يحدث ففقدت قدرتها على الحراك وظلت جامدة في مكانها كالتمثال، اخترقت صيحات مروان مسامعها، وهو يهدر مخاطباً أيوب:

-"أنا قلبي كان حاسس لما كلمتك ومردتش عليا! إوعى تفتكر إني هسيبك! هتدفع التمن غالي أوي!"

ثم انقض على ندى يجذبها من ذراعها نحو سيارة عاليا، لم تقاومه وسارت معه كالطفلة دون أن تنبس ببنت شفة، لكن أيوب هوى على رأس مروان بلكمة أفقدته توازنه، فسقط أرضاً وقد أفلت يد ندى رغماً عنه، صرخ أيوب:

-"اهربي بسرعة! اركبي العربية دي واهربي!"

قالها مشيراً إلى سيارة عاليا، ركضت ندى نحو سيارة عاليا وركبتها ثم أدارت مفتاح المحرك بيد مرتجفة، لكنها صرخت في هلع حينما رأت مروان يخرج من ملابسه سكيناً صغيرة ويزرعها في فخذ أيوب على حين غرة، انطلقت من حلق أيوب صرخة مجلجلة تحمل ألماً لا يوصف قبل أن يسقط أرضاً، اعتدل مروان واقفاً وسارع بإخراج السكين من جسد أيوب استعداداً لطعنه أخرى ستكون قاتلة هذه المرة لامحالة!

بحركة لا إرادية ضغطت ندى دواسة البنزين وانطلقت بالسرعة القصوى، كان مروان قد رفع يده في الهواء حاملاً السكين، قبل أن يهوي بها في قلب أيوب، لكن ندى باغتته بصدمة قوية، طار معها جسده إلى الأمام، لم تستطع تفاديه فدهسته بالسيارة!

أوقفت السيارة ونزلت تصرخ في هيستيريا وهي ترى مروان جثة هامدة أمام عينيها، اعتدل أيوب وقام بخلع سترته وربطها حول فخذه بقوه ليهدأ النزيف، ثم اتجه نحوها قائلاً في صرامة:

-"اسكتي! كده هتفضحينا! لازم نشيله من هنا بسرعة قبل ما عربية تعدي وحد يشوفنا"

وقفت ندى تراقبه وهو يحمل جثة مروان حتى اختفى خلف منطقة أشجار بمحاذاة شاطئ الهويس، ثم عاد مسرعاً يأمرها قائلاً:

-"اسمعي اللي هقولك عليه وتنفذيه بالحرف الواحد، انتي هتاخدي العربية دي وتروحي بيتك عادي، بس الأول تديني رقم تليفونك، وتستني مني رسالة، أول ما توصلك تبتدي تتصلي بأي حد تعرفيه عشان يدور على جوزك، أنا هدفنه هناك ورا الشجر، ولما الدنيا تضلم هغرق عربيته في الهويس، وهمشي ومش هاجي البلد دي

تاني، وانتي ولا عمرك شوفتيني ولا أنا اعرفك وخلصت الحكاية على كدة، نصيبك تعيشي وهو اللي يموت**!"**

أومأت ندى برأسها موافقة دون أن تعقب بكلمة، ركضت إلى سيارة عاليا وانطلقت عائدة نحو منزلها، بينما ركب أيوب سيارة مروان وسار بها إلى منطقة الأشجار ليوقفها هناك، ثم عاد إلى سيارته وسار بها بضعة أمتار ليبعدها عن المكان وتركها عند الجانب الآخر من الطريق حتى لا تلفت أنظار المارة، لحسن حظه أن الطريق كان شبه خالي ذلك اليوم بسبب برودة الجو وقوة الرياح.

عاد ماشياً نحو مكان جثة مروان وقام بدفنها، ثم مكث ينتظر حلول الظلام وبدء ملء الهويس.

ما أن سمع بوابة الهويس الأولى تفتح، حتى أوقف سيارة مروان بشكل عمودي على حافة الشاطئ، وانطلق مسرعاً نحو سيارته، ثم عاد بها في هدوء دون أن يضيء أية كشافات، ثم وقف خلف سيارة مروان ينتظر، وما أن بدأت بوابات الهويس الجانبية في ضخ المياه حتى استغل جلبة أصوات الماء، وعاد إلى الوراء بضع أمتار قبل أن ينطلق بأقصى سرعته مستغلاً حجم سيارته الضخمة في دفع سيارة مروان نحو أعماق الهويس، بالفعل قفزت سيارة مروان إلى المياه تتلقفها دفعات المياه المندفعة من البوابات الجانبية قبل أن تنفتح البوابة الثانية، ويجرفها الموج عدة أمتار أخرى خارج الهويس، وقد تضرر الجزء الخلفي منها بشكلٍ واضح ليؤكد تعرضها لحادث أدى بها للانحراف عن الطريق ومن ثم غرقها في الهويس، وينفي أي شبهة لحدوث شيء آخر.

سارع أيوب بالعودة إلى الطريق الرئيسي والاختفاء عن الأنظار تماماً بعد أن أرسل الرسالة إلى ندى.

****

عادت ندى بالسيارة إلى منزل عاليا، وتركتها هناك ثم سارعت بركوب سيارة أجرة عائدةً إلى منزلها. احتضنت مالك طويلا ثم اتصلت بوالدتها لتخبرها بتأجيل قدومها إلى الغد، وبقيت في انتظار رسالة أيوب، لتتصل بياسر حتى تخبره بغياب مروان.

****

لم تعرف عاليا متى أعاد مروان سيارتها إلى منزلها، وقد أخبرها بذهابه ليتحقق من موت ندى بنفسه وسوف يعيد السيارة إلى مكانها فور انتهائه، وطلب منها ألا تتصل به مطلقاً طيلة ذلك اليوم وسيخبرها لاحقاً بما جرى.

لكنها استيقظت في صباح اليوم التالي على ذلك الخبر المفجع، فأصابها الذهول وعجزت عن ترتيب الأحداث وفهم حقيقة ما جرى، وبالطبع لم تتجرأ على التفوه بأية كلمة واكتفت بالصمت والغرق في الحزن مع تلك النهاية المخيبة للآمال والغير متوقعة كلياً!

****

ركبت ندى سيارة عاليا وسارعت بإغلاق القفل المركزي للأبواب، ثم أمسكت بمقود السيارة وهي تحدق في عاليا وابتسامة شيطانية ترتسم على وجهها، بدأت عاليا تستوعب ما يجري فتواثبت دقات قلبها وشرعت تصيح في فزع:

-"هتعملي إيه يا مجنونه؟! أنا ما ليش دعوة مروان هو اللي كان عاوز يخلص منك!"

ارتج صدى عبارتها في المكان قبل أن تبدأ في الصراخ والركض بأقصى سرعتها قبل أن تتحرك ندى نحوها، قهقهت ندى في ظفر وهي تراقب حالة الذعر التي تنتاب عاليا، ثم همت بالضغط على دواسة البنزين، لكن سيارة مسرعة اعترضت طريقها ووقفت أمامها تماماً، نزل منها دكتور رأفت وياسر يركضان تجاهها، انعقد حاجبيها في ضيق وقد قطعا عليها ذلك المشهد الممتع، صاح ياسر وهو يشير إليها بيده:

-"اهدي يا ندى أرجوكي، ما تضيعيش نفسك عشان خاطر مالك"

لم يكد اسم مالك يخترق أذنيها حتى تلألأت الدموع فيهما، وقالت في حسرة:

-"وهو فين مالك ما خلاص راح! وحياتي ما بقلهاش أي لازمة سيبوني أنتقم منها"

قاطعها دكتور رأفت قائلاً:

-"مالك عندي يا ندى! في المصحة"

شهقت في ذهول وهي تستحلفه أن يخبرها الحقيقة، فأجابها مؤكداً:

-"تعالي حالاً نروحله!"

تجاهلت تماماً أمر عاليا ولم تعد تكترث لها، فنزلت من سيارتها راكضةً إلى سيارة دكتور رأفت وركبتها وهي متلهفة للانطلاق سريعاً، بينما ظل ياسر ليبقى مع عاليا ويعيدها إلى منزلها بعد حالة الفزع التي عاشتها للتو، وقد اعترفت له بكل ما حدث مع مروان وتدبيرهما لقتل ندى.

****

بقيت ندى في مصحة دكتور رأفت لعدة أيام برفقة مالك، كانت مشاعرها مختلطة بين السخط مما فعله بها والرضا عن كون مالك بأمان.

وأثناء تلك الأيام خضعت للعديد من الجلسات التي أزاحت فيها ذلك الحمل الثقيل عن كاهلها وأخبرت دكتور رأفت بكل ما تذكرته.

تفاجأ كثيراً بما قالته وحذرها من خطورة أن تتفوه به لأي مخلوق، ثم استغرق في تفكير عميق فيما يتوجب عليه فعله إزاء ما بات يعرفه، حتى فوجئ بزيارة من ياسر يخبره فيها بما حكته له عاليا ويثير العديد من التساؤلات في نفسه عن حقيقة ما حدث لمروان، قبل أن يسأله عما تذكرته ندى عن صباح يوم الحادث، فحسم دكتور رأفت أمره ورد في صرامة:

-" آسف يا ياسر دي أسرار المريض، تقدر تسألها هي لو عاوز، بس نصيحة مني انسَ الموضوع وادعي لمروان بالرحمة!"

تمت

الكاتبة مها سيد عبد الرحمن كاتبة ثنائية "مملكة سيڤارا"، "ملحمة الدماء الزرقاء".

الصفحة الرسمية للكاتبة:

https://www.facebook.com/Maha-Sayed-Abdelrahman-مها-سيد-عبد-الرحمن-117973116713609/

معرض القاهرة الدولي للكتاب
Cairo International Book Fair

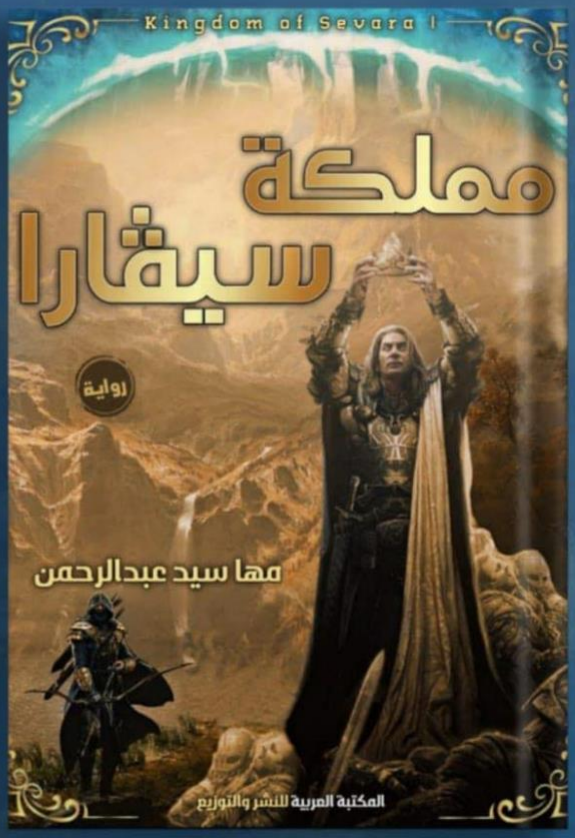

Cover designed by:

AMANY MAHMOUD